

نُفْر (بالسومرية: نبرو، وتكتب أحيانًا بالكلمة التصويرية EN.LÍLKI وتعني "مدينة إنليل")، بالأكدية: نَبُور، كانت واحدة من أقدم المدن السومرية على الإطلاق. [بحاجة لمصدر] كانت مقر عبادة الإله السومري إنليل، "رب الريح"، وحاكم الكون، الذي يخضع للإله أن وحده. وتقع نُفْر على الموقع الحالي لنُفْر، بمدينة عفك، ضمن محافظة القادسية بالعراق.

التاريخ

لم تتمتع نُفْر يومًا بهيمنة سياسية بذاتها، ولكن السيطرة عليها كانت مهمة للغاية، إذ اعتُبرت قادرة على منح "الملكية" للحكام من مدن-دول أخرى. كانت نُفْر مميزة بكونها مدينة مقدسة، ومهمة لاحتوائها على مزار إنليل الشهير.

وفقًا لما تذكره **حوليات ثَمَال**، فإن الملك إنمباراجيسي، وهو من الحكام المبكرين لمدينة كيش، كان أول من بنى هذا المعبد. [2] وتشير الأدلة الأثرية كذلك إلى تأثيره على نُفْر. تذكر الحوليات ملوكًا سومريين لاحقين حافظوا على طقوس منتظمة في المعبد: **أغا بن إنمباراجيسي**، **ميساتي-بادا من أور**، **ابنه ميسكيانج-نوننا**، **جلجامش من أوروك**، **ابنه أور-نونغال**، **ناني من أور** و**ابنه ميسكيانغ-نانا**. وتشير الحوليات كذلك إلى أن هذه الممارسة أُحييت من قبل **أور-نمُو من أور**، واستمرت حتى عيّن الملك **إبي-سين الكاهن الأكبر إنميغالانا** في أوروك (حوالي عام 1950 قبل الميلاد).

نقوش الملك **لوغال-زوغ-سي ولوغال-كيغوب-ندودو**، ملوك أوروك وأور على التوالي، وغيرها من الحكام قبل الساميين، على مواقع الأبواب والمزهريات الحجرية، تؤكد الاحترام الكبير الذي حظي به المزار، وكذلك الأهمية التي أوليت لامتلاكه بوصفه مصدرًا للشرعية. على هذه الهدايا التذكارية، عرّف بعض الحكام أنفسهم بلقب "إنسي"، أي "حاكم".

المرحلة قبل السرجونية

كانت نُفْر في الأصل قرية مكونة من أكواخ القصب على المستنقعات، مما جعلها معرضةً للدمار المتكرر جزاء الفيضانات أو الحرائق. على الرغم من ذلك، استمر السكن على الموقع نفسه، وارتفع تدريجيًا فوق المستنقعات بفضل تراكم الركام، وكذلك بجهود السكان. ومع تطور الحضارة، حُلّت المباني المبنية من الطوب الطيني محل الأكواخ، على الأقل بالنسبة للمعبد. المرحلة المبكرة للحضارة، المرحلة الطينية، تميّزت بالفخاريات اليدوية الخام والطوب المحفور بالأصابع، المسطح من جهة، المقعر من جهة أخرى، وقد تطورت عبر عدة مراحل مميزة. لم يتم تحديد الشكل الدقيق للحرم في هذه المرحلة، ولكن يبدو أنه ارتبط بعملية حرق الموتى، حيث عُثر على بقايا واسعة للحرق في جميع الطبقات قبل السرجونية. تشير الأدلة إلى تتابع عدة مجموعات سكانية على الموقع، متفاوتة بدرجات من الحضارة. تتميز طبقة معينة بفخاريات ملونة عالية الجودة، تشبه تلك التي عُثر عليها في طبقات موازية بمدينة سوسا، وتشبه إلى حد كبير الفخاريات المبكرة لبحر إيجة مقارنة بالفخاريات اللاحقة لبلاد الرافدين.

حلت لاحقًا مجموعة سكانية أقل جودة من ناحية صناعة الفخاريات، ولكنها متفوقة من ناحية البناء. وفي واحدة من هذه الطبقات المبكرة جدًا، عُثر على قناة مبنية على شكل قوس من الطوب المحروق، تتصل بالمزار. وفي مرحلة ما، بدأت النقوش السومرية تظهر على الألواح الطينية، بخط شبه خطّي تقريبًا. يبدو أن المزار كان على منصة مرتفعة، وربما احتوى على زقورة.

المرحلة الأكديّة، سلالة أور الثالثة، وفترة بابل القديمة

خلال أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، احتلّت نُفْر من قبل الحكام الساميين لمدينة أكد، كما تشهد على ذلك الهدايا التذكارية التي تركها **ريموش**، **سرجون**، و**نارام-سين**، مما يدل على الاحترام الكبير الذي أولوه لهذا المزار. قام **نارام-سين** بإعادة بناء المعبد وكذلك سور المدينة، وتقع بقاياها على مستوى نصف العمق الحالي تقريبًا. تبع الاحتلال الأكدي احتلال آخر على يد سلالة أور الثالثة، حيث بُنيت المباني على طبقات **نارام-سين**، على يد الملك **أور-نمُو**، البناء الكبير للمعابد.

أعطى **أور-نمُو** للمعبد شكله النهائي. بعد إزالة أجزاء من مباني سابقه، بنى مصطبة بارتفاع 12 مترًا ومساحة 32,000 م² تقريبًا. على الحافة الشمالية الغربية، نحو الركن الغربي، بنى زقورة مكونة من ثلاث طبقات من طوب مَجْفَف، مغطى بطبقة من طوب مشوي ومثبت بالقار. على القمة، كما هو الحال في أور وإريدو، شُيّد مزار صغير مخصص للإله. كانت إمكانية الوصول إلى طبقات الزقورة عبر منحدر على الجهة الجنوبية الشرقية. إلى الشمال الشرقي من الزقورة، يبدو أن

"بيت بيل" (معبد إنليل) شُيِّد، وفي الساحات المحيطة به، أُقيمت مبانٍ ومزارات وخزائن ومخازن متنوعة. كان التكوين بأكمله موجهاً وفق زوايا البوصلة الأربع.

أعاد أور-نمُو كذلك بناء سور المدينة على خط السور الذي بناه نارام-سين. ساعد على إعادة تصور مظهر المعبد الحالي، وكذلك المرحلة التي تلتها، العثور على خريطة تخطيط على لوح طيني، تصور حيًا من المدينة شرق قناة "شطّ النيل". كان هذا الحي محاطًا بأسواره، على شكل مربع غير منتظم، طول كل جانب منه نحو 820 مترًا، ومفصلاً عن بقية أجزاء المدينة وكذلك عن الريف المحيط، عبر قنوات مائية على كل جانب، مزودة بأرصفتها واسعة على امتداد السور. كما يظهر على الخريطة قناة أصغر تقسم هذا الحي إلى قسمين. وفي القسم الجنوبي الشرقي، على امتداد جانبه، يظهر المعبد، بينما في القسم الشمالي الغربي، على امتداد قناة شطّ النيل، تشير الخريطة إلى وجود مخزنين كبيرين. يشمل المعبد وفقًا للخريطة ساحة خارجية وساحة داخلية، كل منهما تغطي مساحة حوالي 32,000 م²، محاطتين بأسوار مزدوجة، وتقع الزقورة على الحافة الشمالية الغربية للساحة الأخيرة.

استمر ملوك السلالات اللاحقة ببناء المعبد أو إعادة بنائه، كما تشهد على ذلك الطوابع والهدايا التذكارية التي تحمل نقوش ملوك من سلالات أور وإيسن. يبدو أن المعبد تعرّض لدمار شديد أثناء غزو العيلاميين، كما تشهد على ذلك شظايا التماثيل المحطمة والهدايا التذكارية المحطمة من تلك المرحلة. وفي الوقت ذاته، يبدو أن المعبد نال اعترافًا من قبل الحكام العيلاميين، إذ لقب الملك العيلامي ريم-سين الأول من مدينة لارسا نفسه "راعي أرض نَفْر". مع قيام الإمبراطورية البابلية على يد حمورابي، مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، انتقل مركز التأثير السياسي والديني إلى بابل، وأصبح ماردوك سيدًا على مجمع الآلهة، وتم نقل العديد من صفات إنليل إلى ماردوك، مما أدى إلى تراجع دور معبد إيكور.

المرحلة اللاحقة

مع قيام السلالة الكيشية، عقب منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، عاد إيكور إلى عظمته السابقة، حيث قام ملوك عدة من هذه السلالة ببنائه وترميمه، كما تشهد على ذلك آلاف النقوش المحفوظة من أرشيفاته. عقب منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، مرت المدينة بفترة طويلة من التراجع النسبي، ولكن مع غزو البابليين على يد الملك الآشوري سرجون الثاني، أُعيد تشييد المعبد، وفي عهد آشوربانيبال، نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد، شهد إيكور عملية ترميم مذهلة، حيث بلغت أبعاد زقورته 58 × 39 م.

بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية الحديثة، تدهور حال إيكور تدريجيًا، حتى تحوّل أخيرًا، خلال المرحلة السلوقية، إلى حصن. شُيِّد جدران ضخمة على أطراف مصطبة المعبد، وامتألت ساحات المعبد بالمنازل والشوارع، كما أُعيد استخدام الزقورة وحوّلت على نحو مدهش على شكل صليب، مما جعلها بمثابة قلعة محصنة. استمر استخدام هذه القلعة وتطويرها حتى نهاية المرحلة البارثية، نحو عام 250 م، ولكن تحت الحكم الساساني، سقطت القلعة تدريجيًا، وتحولت المحلة المحيطة بالمزار القديم إلى مقبرة، بينما عاشت قرية صغيرة مكونة من بيوت طينية حول الزقورة. يبدو كذلك أن المدينة كانت مقرًا لأسقفية كنيسة المشرق الآشورية حتى القرن الثامن الميلادي.

علم الآثار

تقع نَفْر على جانبي قناة شطّ النيل، أحد أقدم روافد نهر الفرات، بين الموقع الحالي للنهر الحالي ونهر دجلة، على مسافة حوالي 160 كم جنوب شرق بغداد. يُمثلها اليوم الموقع الكبير من التلال التي يسميها العرب "نَفْر"، وتنقسم إلى قسمين بفعل المجرى الجاف لشطّ النيل القديم، أو "أراخت". أعلى نقطة من هذه الأطلال، على ارتفاع حوالي 30 مترًا عن مستوى السهل المحيط، تسمى لدى العرب "بنت الأمير".

تم التنقيب لأول مرة عن نَفْر بشكل مقتضب على يد السير أوستن هنري لايارد عام 1851. [3] ثم قامت جامعة بنسلفانيا بحملة تنقيبية واسعة، على أربع مواسم بين عامي 1889 و1900، تحت قيادة جون بونيت بيترز، جون هنري هاينز، وهيرمان فولرث هيلبريخت [6][5][4]. كما جرت عمليات تنقيب على امتداد 19 موسمًا من عام 1948 حتى عام 1990 على يد فريق من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو، بمشاركة جامعة بنسلفانيا ومؤسسة المدارس الأمريكية للبحوث الشرقية [14][13][12][11][10][9][8][7].

وكما هو الحال في تَلُو، كذلك الأمر بالنسبة لنَفْر، حيث عُثر على أرشيفات المعبد على تلة خارج المحيط المباشر للمعبد. إلى الجنوب الشرقي من منطقة المعبد، وخارج جدرانه، عُثر على تلة مثلثة الشكل بارتفاع 7.5 م تقريبًا ومساحة نحو 52,000 م²، تحتوي على عدد كبير من الألواح الطينية المحفوظة (تقدّر بنحو 40,000 لوح وشظية)، تتراوح تواريخها

من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد إلى العصر الفارسي، وتشمل أرشيفات المعبد، تدريبات مدرسية، نصوصاً رياضية، إلى جانب عدد كبير من الوثائق ذات الطبيعة الأدبية والدينية.

على الجانب المقابل من المعبد، عُثر على قصر كبير على الأرجح من العصر السلوقي، وفي هذه المنطقة وكذلك جنوبها على التلال المحيطة، عُثر على عدد كبير من الألواح المحفوظة من عصور مختلفة، بينها أرشيفات معبد كيش، وكذلك أرشيفات تجارية من العصر الفارسي، تتضمن وثائق تخص عائلة **موراشو**، وكلاء السلطة، مما يساعد على فهم طبيعة حياة المدينة وتنظيم الدولة في العصر الفارسي (القرن الخامس قبل الميلاد). وتعطينا أرشيفات المعبد صورة دقيقة عن إدارته، إذ تشير إلى أن نُفَر كانت تحت سلطة المعبد، الذي امتلك مزارع ومراعي واسعة، حيث يقوم المستأجرون بتقديم كشوف دقيقة عن استخدامهم لأراضي المعبد وممتلكاته، محفوظة ضمن أرشيفاته، إلى جانب قوائم بالممتلكات المحفوظة ضمن خزائنه، وكذلك قوائم رواتب مسؤولي المعبد على ألواح مخصصة لهذا الغرض، توثق الفترات السنوية أو نصف السنوية.

على السطح العلوي من هذه التلال، عُثر على بلدة يهودية كبيرة، يرجع تاريخها من العصر العربي المبكر إلى القرن العشرين، تحتوي على عدد كبير من **الأواني السحرية** المحفور عليها كتابات، مما يشير إلى أن الوجود اليهودي على الموقع أقدم مما هو مذكور، حيث تبين ظهور أسماء عبرية على وثائق فارسية عُثر عليها كذلك على الموقع.

دريهم

دريهم، أو **فوزريش-دجان**، أحد الضواحي التابعة لنُفَر، ويُمثّل أشهر مراكز توزيع المواشي في العصر السومري الحديث. يقع على بُعد نحو 10 كيلومترات جنوب نُفَر. تشهد على هذا مئات الألواح الطينية المحفوظة، حيث كانت مراكز تربية وتوزيع الماشية (الأبقار، الأغنام، والماعز)، مخصصة للمعابد، ومسؤولي الدولة، وكذلك القصور الملكية. كانت معابد نُفَر، العاصمة الدينية للحضارة السومرية الحديثة، الوجهة الرئيسية لهذه المواشي. تأسست المدينة على يد الملك **شولجي**، ملك أور، وتوجد بعض أرشيفاتها المحفوظة اليوم ضمن مجموعات **المتحف الملكي في أوناريو**، بمدينة تورونتو.